أصداء العلاقات الليبية- السوفيتية في صحيفة طرابلس الغرب (1955– 1969م) (دراسة تاريخية)

د. عبدالحكيم الطاهـــر حسين أبوستة *
كلية التربية، ناصر، جامعة الزاوية
البريد الإلكتروني: a.abusttdh@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/9/23م تاريخ القبول 2025/10/12م

The Origins of Libyan - Soviet Relations in the Tripoli Al-Gharb Newspaper (1955-1969 AD) (a historical study)

Abdelhakim Al-Taher Hussein Abousta*
Faculty of Education, Nasser, University of Zawiya

Abstract

The research deals with the presentation and analysis of the Libyan-Soviet relations in the Tripoli Al-Gharb newspaper (1955-1969 AD) in its historical context, by first identifying the impressions of the Tripoli Al-Gharb newspaper about the Soviet Union before the establishment of bilateral relations. Then the research traces the progress of bilateral relations, then the research traces the progress of Libyan - Soviet relations since their establishment in September 1955 AD. The activities of the Soviet diplomatic mission in Libya were also identified, and finally an analytical evaluation of these relations was made through which the ability of Libyan diplomacy to establish balanced bilateral relations with the Soviet Union was revealed in light of its alliances with Western countries.

الملخّـــص:

يتناول البحث بالعرض والتحليل صدى العلاقات الليبية – السوفيتية في صحيفة طرابلس الغرب (1955-1969م) في سياقها التاريخي، بالتعرف أولاً على انطباعات صحيفة طرابلس الغرب عن الاتحاد السوفيتي قبيل إقامة العلاقات الثنائية، ثم تعرض البحث إلى تتبع سير العلاقات الثنائية، ثم تعرض البحث إلى تتبع سير العلاقات الليبية – السوفيتية منذ إقامتها في سبتمبر 1955م، كما تم التّعرف على نشاطات البعثة الدبلوماسية السوفيتية في ليبيا، وأخيراً تقييم تحليلي لهذه العلاقات التي استبان من

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

خلالها قدرة الدبلوماسية الليبية على إنشاء علاقات ثنائية متوازنة مع الاتحاد السوفيتي في ظل تحالفاتها مع الدول الغربية.

المقدمة:

يمثل الأرشيف الصحفي ذاكرة حية للأمم والمجتمعات، فالصحافة مرآة تعكس أحداث المجتمع وتطوراته، فتتجاوز أنها مجرد كونها وسيلة إخبارية لحظية، لتصبح وثائق تاريخية ومصادر حية، فهي توفر سياقات تاريخية عميقة، وتقدم وجهات نظر متعددة حول حدث تاريخي واحد، مما يوفر مادة غنية ومتنوعة لإجراء دراسات وتتبع تطور الأفكار الواردة فيها، مما يجعلها أداة مهمة عبر مجموعة واسعة من التخصصات كالتاريخ والعلوم السياسية.

وتمثل الصحافة وسيلة مهمة لتتبع سير الحياة اليومية بجميع مشاغلها ونواحيها، والعمل على نشرها، بما يعكس الحياة اليومية للمجتمعات البشرية.

أولا – مشكلة البحث:

في إطار العلاقات الليبية - السوفيتية (1955 – 1969م)، تبرز أهمية الصحف الليبية لتناول ورؤية وتقييم هذه الصحافة للعلاقات بين الدولتين، في مرحلة الحرب الباردة وهي حساسة جداً بالنسبة لليبيا التي كانت ضمن المعسكر الغربي، بوجود قواعد وقوات عسكرية غربية (أمريكية – بريطانية –فرنسية)، كما أن ليبيا كانت دولة فقيرة في حاجة لاستدامة الدعم الاقتصادي من هذه الدول، والتي هي في صراع ضد الاتحاد السوفيتي بأكثر من وسيلة (أيديولوجي – اقتصادي – استراتيجي – ثقافي - عسكري).

وبالتالي يطرح هذا البحث فرضية وجود علاقات ليبية سوفيتية في ظل الهيمنة الغربية على البلاد، وهذا البحث سيناقش هذه الفرضية في سياقها التاريخي، من خلال تتبع ورصد للأخبار والتحليلات الواردة عن أوجه العلاقات الثنائية بين البلدين (ليبيا – الاتحاد السوفييتي) في صحيفة طرابلس الغرب.

ثانياً - تساؤلات البحث:

س– هل تمكنت ليبيا من إقامة علاقات سياسية واقتصادية بالاتحاد السوفيتي، باستقلالية دون تدخل القوى الغربية المهيمنة على ليبيا؟

س– ماهي الوسائل التي اتبعها الاتحاد السوفيتي، في إيجاد علاقات بليبيا وماهي المجالات التي ركز عليها في علاقات الطرفين؟

س– كيف كانت وجهة نظر وتعامل الصحافة الليبية للعلاقات الليبية - السوفيتية؟

ثالثاً - أهداف البحث:

1– التعرف على الموقف الرسمي للبلدين لهذه العلاقات.

2 – معرفة مدى فهم وتقييم للعلاقات الليبية - السوفيتية في الصحافة الليبية، وما يعكسه من آراء وتوجهات للساسة الليبيين في تلك الفترة.

3 – رصد و قراءة تحليلية لآراء ووجهات نظر الصحفيين والمراسلين والمحللين الإخباريين، حول العلاقات الليبية – السوفيتية، وما يعكسه من وجهات نظرهم الخاصة في صفحات جرائدهم لهذه العلاقات، لتبيان الموقف الرسمي والشعبي للعلاقات الثنائية.

رابعاً – منهج البحث:

سيستخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، بتتبع للأخبار الواردة في أعداد صحيفة طرابلس الغرب الصادرة خلال فترة الدراسة، والعمل على تحليل مقالاتها وأخبارها عن العلاقات الليبية – السوفيتية، في سياقها التاريخي.

تمهيد:

لم تكن نهاية العمليات القتالية للحرب العالمية الثانية في ليبيا، أكتوبر 1943م، نهاية مأساة الليبيين وتحررهم من الاحتلال الإيطالي المباشر (1911-1943م)، وإنما خضعت ليبيا تحت هيمنة المنتصرين في الحرب، فصارت تحت حكم الإدارتين: البريطانية لإقليمي طرابلس وبرقة، والإدارة الفرنسة لإقليم فزان (1943-1951م).

في هذه الأثناء كان الحليف الشيوعي في الحرب لهذه الدول(الاتحاد السوفيتي) يراقب الأحداث عن كثب، حيث سعى إلى منع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من الاستفراد بليبيا، فقد آثار رئيس الاتحاد السوفيتي جوزيف ستالين في القمة الرباعية ببوتسدام عام 1945م، (بريطانيا – الولايات المتحدة الأمريكية – فرنسا - الاتحاد السوفيتي)، مسألة المستعمرات الإيطالية، استشهد فيها بتصريح صادر عن عضو مجلس العموم البريطاني: انتوني ايدن قال فيه: "إن إيطاليا فقدت مستعمراتها إلى الأبد" فتسأل ستالين: فلمن ستذهب ممتلكاتها؟[1].

ونظراً للموقع الجغرافي الحيوي الذي تتمتع به ليبيا، أبدى الزعيم السوفيتي اهتماماً خاصاً بها، مظهراً أن بلاده لن تترك هذه المنطقة لتتقاسمها الولايات المتحدة

وبريطانيا وفرنسا، وأن الاستقلال مشروط بوحدة الأراضي الليبية وعدم وجود قوات أو قواعد أجنبية فيها[2].

أولاً - الانطباعات الصحفية لصحيفة طرابلس الغرب عن الاتحاد السوفيتي قبيل إقامة العلاقات الثنائية:

تعد صحيفة طرابلس الغرب أول صحيفة رسمية تصدرها ولاية طرابلس الغرب عام 1866م، خلال العهد العثماني الثاني، وهي أسبوعية بعدد ورقتين إحداهما باللغة العربية والأخرى باللغة التركية.

أما في العهد الملكي (1951-1969م) فكانت الصحيفة الرسمية لولاية طرابلس الغرب، وتصدر بشكل يومي، بعدد أربع أوست صفحات، وهي منوعة: سياسية – اقتصادية - اجتماعية - ثقافية[3].

ويمكن من خلال الصحيفة التعرف على وجهة نظر محرريها، وعلى اعتبار أنها صحيفة رسمية فالبتالي ستعكس إلى حد كبير رؤية الدولة الليبية تجاه الاتحاد السوفيتي، من خلال تغطيتها للأخبار المتعلقة به، وتأثيره على المنطقة والعالم، وكيفية ربطها بالمصالح الليبية.

ومن هذه المقالات على سبيل المثال، المقال الذي ورد في الصحيفة في 7 يناير 1954م بعنوان: "تدفق الذهب الروسي في لندن: رسالة جديدة زنتها سبعة أطنان"، تومئ الصحيفة من خلال هذا الخبر أن الاتحاد السوفيتي في أمس الحاجة للحصول على العملة البريطانية (الاسترليني)[4].

كما تتبعت الصحيفة و بشكل يومي مؤتمر القمة لرؤساء الدول الأربع الكبرى (الاتحاد السوفيتي – الولايات المتحدة الأمريكية – بريطانيا – فرنسا) المنعقد في جنيف في 18-24 / يوليو 1955م، فتصدرت عناوين الصحيفة وتحليلاتها عن هذه القمة من بينها: ما قاله رئيس الوزراء البريطاني الجميع يدرك مصير الإنسانية إذا لم يكن السلام، الذي لابد للاتحاد السوفيتي أن يدركه[5].

كما أوردت الصحيفة في عددها الصادر يوم 25 أغسطس 1955، مقالاً بتصرف من مجلة النيويورك تايمز، لتوماس ويثني بعنوان: مشكلة الكرملين الكبرى، تناول المقال مشكلة الإنتاج الزراعي التي واجهها الاتحاد السوفيتي، وأن استقالة كل من رئيس البوليس السوفيتي لافرنتيني بيريا في سنة 1953م، وجورجي مالنكوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في الثامن من فبراير 1955م، بأنهما خربا وأفشلاً برنامج الحزب الشيوعي في إنتاج كميات كافية من الأغذية، وبحسب المقال: أنه كان لابد من كبش

فداء ولم يكن بالإمكان فضح أكثر المذنبين إجراماً – أي جوزيف ستالين – لأسباب سياسية، ويورد صاحب المقال: أن جوزيف ستالين و حكومته قامت بحركة تجويع للفلاحين الرافضين لعملية تأميم المزارع، مما أدت إلى هلاك الملايين، كما سرد بإسهاب في هذا المقال قصة لزخار كوزميش، فلاح سوفيتي في إحدى التعاونيات بمنطقة أوريل، من بين ما قاله الفلاح أنّه لا يختلف عن جدّه الذي كان عبداً في العهد القيصري، إلا في حالة واحدة بأنه يشتغل خمسة أيام وجدّه ثلاثة أيام فقط(6).

وفي تصريح مثير لجون فوستر دللسن وزير خارجية أمريكا عن الشرق الأوسط، علقت الصحيفة بمقال يحمل في طياته أنه لا حياد في القضايا التي تمس الأمة العربية، حمل عنوان: ماذا وراء هذه المناورات؟ حيث أبدت الصحيفة استغرابها من عدم تعليق الدولة الليبية على هذا التصريح، أو إصدار بيان يوضح فيه الموقف الليبي مما صرح به الوزير الأمريكي، الذي عبر عن امتعاضه من الأخبار التي سمعها عن نية الاتحاد السوفيتي تزويد مصر بالأسلحة، وبأن هذا الأمر مزعج جداً إذا حصل، متسائلة الصحيفة؟ عن دعم أمريكا للكيان الصهيوني بالأسلحة، وهي سعيدة بذلك، فكيف لا يسعد العرب بالمساعدة السوفيتية (حسب قول الصحيفة) لأنها (الولايات المتحدة) تخشى على الربيب الذليل (الكيان الصهيوني) الذي خلقته في كبد العالم العربي(7).

أما عن تغطية الصحيفة الإعلامية للمؤتمر البرلماني الدولي بهلسنكي العاصمة الفنلندية، فيورد صاحب المقال أن روسيا السوفيتية قد امتنعت في البداية عن حضور المؤتمر "منذ قيام الستار الحديدي بينها وبين الدول الديمقراطية"، كما ورد في المقال عنوان: ويكرهون الروس، بحسب وصف برلماني نمساوي كيف احتلت الدول الأربع الكبرى النمسا، وانحى باللائمة على تصرف الروس أثناء الاحتلال في عبارة عنيفة، لا تتفق بأي حال مع معاني التعايش السلمي(8).

من خلال ما سبق اتضح أن المقالات الصحفية السالف ذكرها قد عبرت في مضمونها، عن أخبارها وتحليلاتها السياسية الواردة عن الاتحاد السوفيتي، بأنها كانت تارة في إطار خبر صحفي بنظرة شمولية فيما اصطلح عليه بالحرب الباردة حيث لا تحيز للكتلة الغربية أو الشرقية، وتارة أخرى أنها لا تحيد عن الثوابت الوطنية تجاه القضايا العربية، كما أنها قد تميل أحياناً إلى المعسكر الغربي، وتبدي توجساً من سياسات ومواقف الاتحاد السوفيتي.

ثانياً - العلاقات الثنائية والتمثيل الدبلوماسي:

مثلت ليبيا بموقعها الجغرافي، المطلة بسواحلها على البحر الأبيض المتوسط، وأنها بوابة أفريقيا،وأقرب نقطة للعمق الأفريقي للبحر المتوسط في خليج سرت، أهمية بالغة في الاستراتيجية العالمية، بين الأقطاب المتنافسة فترة الحرب الباردة.

فلم يكن وجود قوات وقواعد عسكرية أمريكية وبريطانية في ليبيا، حائلاً دون سعى الاتحاد السوفيتي لإقامة علاقات دبلوماسية مع ليبيا.

لذا سعى الاتحاد السوفيتي عن طريق سفيره بمصر بالتواصل مع السفير الليبي بالقاهرة بشكل سري، لاستجلاء آراء الحكومة الليبية لإقامة هذه العلاقات، وتلقى الرد في 31 اغسطس 1955م عن الموافقة لإقامة علاقات ثنائية بين البلدين دون الإفصاح عن تفاصيل هذه المفاوضات(9).

وقد اكتفت صحيفة طرابلس الغرب، بشأن قيام علاقات ثنائية بين ليبيا والاتحاد السوفيتي، بإيراد بلاغ صحفي من وزارة الخارجية حول إنشاء علاقات دبلوماسية بين الدولتين.

"بناءً على المحادثات التي جرت بين سفيري ليبيا والاتحاد السوفيتي في مصر قررت كل من حكومتي البلدين إنشاء علاقات دبلوماسية بينهما"(10).

لم يحتو هذا البلاغ على أي تفصيلات أو تواريخ، كما أن الصحيفة لم توضح تفاصيل هذه العلاقات واكتفت بإصدار البلاغ الصحفي الصادر عن وزارة الخارجية، ويبدو أن مرد ذلك هو شح المعلومات المتحصل عليها من الحكومة، بسبب الضغوط التي تعرضت لها الحكومة الليبية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا للحيلولة دون إقامة علاقات ثنائية بين ليبيا والاتحاد السوفيتي(11).

أما عن متابعتها (صحيفة طرابلس الغرب) لوصول السفير السوفيتي إلى ليبيا، فقد نقلت خبراً في 6 يناير 1956م، أنه سيصل الحاضرة اليوم سعادة جينير الوف نيكولاى ايفالوفتش سفير الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في المملكة الليبية المتحدة، برفقة بعض رجال السفارة، وفي يوم 8 يناير 1956م، تابعت الصحيفة وصول السفير السوفيتي للعاصمة طرابلس، باستقبال رئيس الوزراء مصطفى بن حليم للسفير.

كما أدلي السفير السوفيتي بتصريحات للصحفيين عبر فيها عن امتنانه ورغبته في توطيد العلاقات الثنائية بين البلدين، كما أشار بترحيب الشعب السوفيتي بقبول ليبيا عضواً في الأمم المتحدة، وعن دعم بلاده للآمال القومية للشعوب العربية(12).

ونوهت الصحيفة في عددها الصادر يوم 11 يناير 1956م، أن السفير السوفيتي قد سافر إلى طبرق، لتقديم أوراق اعتماده إلى الملك[13]، وفي يوم 15 يناير 1956م، اقتصر خبرها عن تقديم السفير السوفيتي أوراق اعتماده للملك إدريس السنوسي، مع إرفاق صورة للسفير، دون ذكر لأي بروتوكول أو تفاصيل للقاء الذي حصل بين السفير والملك.

كما أقام مصطفى بن حليم رئيس الوزراء ووزير الخارجية مأدبة عشاء على شرف السفير السوفيتي، وحضرها كبار مسؤولي الدولة[14].

لم يرق بل لم يتوقع حلفاء ليبيا الغربيين وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، أن تقيم ليبيا أو حتى تفكر في إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي ذو النظام الشيوعي، العدو الايديولوجي للمعسكر الغربي الرأسمالي، وهي التي (ليبيا) تعتمد بشكل مباشر على المعونات الاقتصادية والمالية والفنية، والمتواجدة على أرضها، قواعد وقوات أمريكية وبريطانية، كما تفاجأت الدول الغربية بأن المفاوضات الممهدة لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين، ليبيا والاتحاد السوفيتي، قد جرت بسرية تامة، ودون علم الدوائر الغربية.

ومن الجدير بالإشارة إليه أن إقامة علاقات دبلوماسية بين المملكة الليبية المتحدة والاتحاد السوفيتي، ليس بالأمر السهل والبسيط بالنسبة للحكومة الليبية، وبالتأكيد أنه لن يكون مقبولاً لدى الحلفاء الغربيين لليبيا، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اللتين أبدتا انزعاجهما من هذه العلاقات، وهذا ما اتضح من تصريح مطول أدلى به مصطفى بن حليم رئيس الوزراء ووزير الخارجية لصحيفة الديلي تلغراف البريطانية، وهو ما أوردته صحيفة طرابلس الغرب في اليوم التالي من اعتماد أوراق السفير السوفيتي لدى ليبيا في 16 يناير 1956م، حيث قال رئيس الوزراء في هذا المقال: "أن إيجاد روابط دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي لا تعني أي تغيير في سياسة ليبيا الخارجية، وقال أنه لا توجد أسباب تبرر وجود أي خطر كما يتبين ذلك من بعض الدوائر الغربية، وأننا لم نتحول إلى شيوعيين، وإنما فقط وبكل بساطة نتمثل بحليفتينا العظميتين بريطانيا والولايات المتحدة، ولدى كليهما سفارتان روسيتان كبيرتان في عاصمتيهما ومع هذا فإن ذلك لا يتخذ كدليل كاف لوجود تدخل شيوعي في سياسة هذين القطرين!"[15].

وفي معرض رده على مراسل الصحيفة البريطانية، عن السرية التي اتسمت بها المحادثات الثنائية الليبية – السوفيتية، عن الحلفاء الغربيين، أكد أن ليبيا دولة ملكية

مستقلة، ولها الحقوق التامة لأن تُجري مثل هذه المحادثات بدون إشراك الحكومات الأخرى، ما لم تتداخل ومصالحها.

كما عبر رئيس الوزراء خلال اللقاء الصحفي عن أمانيه الخاصة بأن لا يكون هناك تدخل من جانب البعثة السوفيتية في شؤون ليبيا الداخلية[16].

يُستنتج من هذا التصريح: الدبلوماسية العالية التي ميزت ردود مصطفى بن حليم، باعتباره رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية، فطمأن حلفائه الغربيين، بأن هذه العلاقات لن يكون فيها ضرر للمصالح الغربية في ليبيا، ولن يُسمح في الوقت ذاته بالتمدد الشيوعي داخلها.

والملفت للنظر أن ليبيا لم تفتح سفارتها في موسكو إلا بعد سبع سنوات من إقامة للعلاقات الثنائية بين البلدين، وذلك في الأول من مايو 1962م، حيث عُين عمر الباروني كأول سفير ليبي في الاتحاد السوفيتي[17].

ثالثاً - نشاط البعثة الدبلوماسية السوفيتية في ليبيا:

بمجرد أن قدم السفير السوفيتي أوراق اعتماده، فإنه لم يألُ جهداً بتكثيف نشاطاته داخل البلاد، فبداء زياراته وعقد اجتماعاته بعديد الدوائر الحكومية بالدولة الليبية، ومن بينها زيارته واجتماعه بمحمد خليل القماطي رئيس المحكمة الاتحادية العليا في 26 يناير 1956م[18]، ولم تورد الصحيفة أي تعليق أو تحليل حول سبب الزيارة وفحوى الاجتماع، وفي يوم الثامن والعشرين من نفس الشهر والسنة، كانت وجهة السفير السوفيتي مجلس النواب الليبي، وعقد اجتماعاً مع رئيسه [19]، من غير أن تورد الصحيفة أية تفاصيل، كما التقى السفير السوفيتي يوم 14 فبراير 1956م، بوكيل مكتب وزارة الخارجية، وذكرت الصحيفة أن الزيارة كانت لأسباب تتعلق بمهمة السفير[20].

ويبدو أن السفير السوفيتي قد بدأ مهامه، بما يمكن أن نسميه بالمساعي الإنسانية، حيث زار في اليوم التالي الموافق 15 فبراير 1956م، محمد عثمان الصيد وزير الصحة بالحكومة الليبية في مكتبه بمقر الوزارة، ولم تنشر الصحيفة تفاصيل هذه الزيارة[21].

وفي أوائل مارس 1956م، كان للسفير السوفيتي لقاء مع مصطفى بن حليم رئيس الوزراء، دون أن تذكر الصحيفة تفاصيل الاجتماع[22].

وفي نشاط للسفير السوفيتي خارج الدوائر الرسمية للحكومة قام في 27 مارس 1956م، بزيارة إلى مدرسة الفنون والصنائع، واقتصر خبر الصحيفة على أنها زيارة لم تتعدى جولة في أجنحة المدرسة وتناول للشاي وتبادل للهدايا[23].

يبدو أن هذه الزيارات والنشاطات للسفير السوفيتي في ليبيا كان هدفها تمهيد المُناخ وتهيئة الحكومة الليبية بتقديم عروض المساعدات السوفيتية لليبيا، إذ قدم الاتحاد السوفيتي عرضاً لمساعدات مالية واقتصادية سلمه للحكومة الليبية، سفيرها بطرابلس بمقدار مليون روبل سنوياً[24].

لم يكن قبول هذه المساعدات من الاتحاد السوفيتي بالأمر السهل الذي يمكن أن تقبله الحكومة الليبية دون دراسة وفهم عواقبه، وذلك لارتباطاتها بالحلفاء الغربيين ومساعداتهم المالية والاقتصادية والفنية، فقبول هذا العرض قد يعني وقفاً لمساعدات الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على وجه الخصوص، وفي موقف مبدئي سارع مصطفي بن حليم رئيس الوزراء ووزير الخارجية إلى دحض ما أسماه الشائعات، أن الاتحاد السوفيتي عرض مساعدة اقتصادية وثقافية على حكومة ليبيا، مؤكداً أن ليبيا لم ولن تقع تحت أي ضغط أجنبي، وأنها تراعي في تصرفاتها مصلحة ليبيا والليبيين[25].

وفي رد رسمي لرئيس الوزراء وزير الخارجية خلال الجلسة السرية لمجلس النواب الليبي، المنعقد يوم 29 مارس 1956م، بعد تساؤلات من النواب عن مدى صحة تلقي ليبيا عروضاً لمساعدات اقتصادية وفنية من الاتحاد السوفيتي، فتأكد من إجابة رئيس الوزراء أن الاتحاد السوفيتي فعلاً قدم عروضاً للحكومة الليبية وأنها اعتذرت عن قبول هذه المساعدات، ذاكراً الأسباب وراء هذا الرفض، والتي لم ترد في أخبار الصحيفة[26].

غير أن هذا الحذر من الحكومة الليبية من التقارب مع الاتحاد السوفيتي الذي له دوافعه و أسبابه، ومن أهمها حُزم المساعدات الأمريكية والبريطانية، وأن الدولة الليبية ليس لها موارد طبيعية أخرى قد تعوض بها أو تستغني عنها.

غير أن الحال قد تبدل وزالت الأسباب والعوائق وراء ذلك، وأصبح للحكومة الليبية هامش من المناورة الدبلوماسية والمساومة وتقديم العروض لحلفائها الغربيين، فبدأت العمليات الاستكشافية للنفط وطرح العروض على الشركات العالمية منذ عام 1955 م، حتى تمكنت شركة إسو ستاندرد أواخر ديسمبر 1957 م، من وجود النفط في بئر العطشان بولاية فزان بعد اندفاعه من البئر[27]، إلى أن بدئ في إنتاجه وتصديره في أكتوبر 1961م[28].

لقد زاد إنتاج وتصدير النفط من الأهمية لليبيا في سياسات واستراتيجيات الدول الكبرى المستهلكة لهذه السلعة، وذلك لجودة النفط الليبي وقربه من السوق الأوروبية، وسعيها لتلافي الخسائر الناجمة عن الأزمات والصراعات الدولية، كما حدث خلال العدوان الثلاثي على مصر سنة1956 م، وما نتج عنه من إغلاق لقناة السويس، وكذلك مشكلة التأميم للنفط الإيراني[29].

كل هذه التطورات في البنية الاقتصادية لليبيا جعلها محل استقطاب عالمي، وأنها صارت على استعداد لتطوير علاقاتها الثنائية مع عديد الدول التي ترى فيها الحكومة الليبية ما يخدم مصالح البلاد.

وظهر ذلك جلياً في العرض السوفيتي لبناء مستشفيين في ليبيا، حيث أكد رئيس الوزراء عبدالمجيد كعبار قبول العرض السوفيتي على أساس المساعدة الغير مشروطة[30]. واتضحت صورة جهود البعثة الدبلوماسية السوفيتية بليبيا، في معرض طرابلس الدولي في دورته الأولى بعد الاستقلال لعام 1962م، حيث كانت مشاركة الاتحاد السوفيتي في هذا المعرض في أغلب أجنحته وبمعروضات متعددة، وقد لقي الجناح السوفيتي إقبالاً كبيراً من الجمهور، كما حظي بمواكبة يومية ومكثفة من صحيفة طرابلس الغرب، إذ تواصلت في أعدادها المختلفة خلال دورة المعرض بشكل لافت للنظر، إعلاناتها ودعايتها لزيارة الجناح السوفيتي، للاطلاع ومشاهدة واقتناء المنتجات والمعروضات السوفيتية [31].

ومن الملفت للنظر أنه كان للجناح السوفيتي بمعرض طرابلس الدولي، مساحة خاصة بالمؤلفات والكتابات السوفيتية في الميادين الأدبية والاقتصادية والعلمية بلغات مختلفة روسية وعربية وانجليزية وايطالية، وكذلك الجرائد والمجلات والاسطوانات وطوابع البريد[32].

وهذه المنشورات من المحتمل أنها تحمل دعايات للشيوعية، وتُعرّف بالنظام الشيوعي، وهو ما يعد نقلة ليبية من بلد متمسك بتحالفه مع الغرب، للاطلاع على الإنتاج المعرفي ووجوه الحياة المختلفة في الاتحاد السوفيتي.

كما اتضح حجم الدعاية السوفيتية في ليبيا من خلال معرض الشباب الذي أقامته السفارة السوفيتية في طرابلس، والذي لم يشهد إقبالاً كبيراً من المواطنين، بسبب خطأ في الإعلان حسب ما عبرت صحيفة طرابلس الغرب عن ذلك[33].

وهذه الأنشطة للسفارة السوفيتية في ليبيا قد مكنت من تغيير في المواقف الرسمية لصانعي القرار في البلاد، حيث أبدي رئيس الوزراء موافقته لتوصيات

مجلس النواب المتعلقة بالعلاقات الاقتصادية والتجارية مع الاتحاد السوفيتي بالعمل على تطويرها والاستفادة منها بما يخدم الدولة الليبية[34].

رابعاً - تقييم تحليلي لرؤية الصحيفة حول علاقات البلدين:

تعتبر صحيفة طرابلس الغرب أحد أهم الصحف الليبية التي مثلت الواجهة الإعلامية لليبيا، وعكست التوجهات الرسمية للدولة وبلورة التفاعلات الشعبية للمجتمع الليبي حول الأحداث العالمية، لقد تبين أن المتابعة الصحفية لسير العلاقات الثنائية قد اتسمت إلى حد كبير بالانضباطية ونقل ما تتحصل عليه من القنوات الرسمية للدولة دون إيراد تعليقات وتحليلات قد لا تتماشى مع التوجه العام للحكومة الليبية في شأن علاقاتها الخارجية، وهو الاطار العام الذي حدده الملك إدريس السنوسي في كلمته المشهورة: " الحفاظ على الاستقلال أصعب من نيله "، فلابد من صيانة هذا الاستقلال وتوطيد أركانه في وجه التحديات الداخلية والخارجية المستمرة، فلم تعدُ أن تكون مجرد بلاغات صحفية غاب عنها التعليق والتحليل لهذه العلاقات، ويبدو أن مرد ذلك هو شح المعلومات المتحصل عليها من الدوائر الحكومية، وعدم تسريبها لوسائل الإعلام المختلفة لسير العلاقات الثنائية، وبالتالي فإن المتابعة الصحفية لسير العلاقات الثنائية قد اتخذ شكل مرحلتين تاريخيتين هما: مرحلة ما قبل تصدير النفط (1955 – 1960م)، والتي لم يغب عنها في الأغلب حضور الأخبار عن نشاطات حلفاء ليبيا الغربيين، ومرحلة ما بعد تصدير النفط (1961 – 1969م) التي أصبح للصحافة الليبية هامش مهم في نقل الأخبار العالمية، دونما محاذير تؤثر على استقلال البلاد واستفادته من المعونة الأجنبية .

واتضح ذلك من خلال الكثير من المواقف، ومثال ذلك عند انعقاد الجلسة الرابعة لمجلس النواب الليبي يوم 22 فبراير 1956م، وجه النائب بالمجلس عبدالعزيز الزقلعي بسؤال لرئيس الوزراء ووزير الخارجية: بأن روسيا عرضت مساعدات على ليبيا وأنّ هناك تردد من الحكومة الليبية، تحفظ رئيس الوزراء ووزير الخارجية على الإجابة الشفوية، طالباً من النائب توجيه سؤال تحريري إلى المجلس ليتسنى للحكومة الإجابة عليه[35].

كما أن كثير من الأنشطة والأخبار قد ورد بعضها في صفحات داخلية للصحيفة وليست الصفحة الأولى، وذلك في إشارة إلى قلة أهمية هذه الأخبار ومحدودية تأثيرها، كما أنه لا يخلو في الغالب خبر متعلق بأنشطة السفارة السوفيتية في ليبيا، إلا وورد خبر عن نشاط أمريكي أو بريطاني متعلق بكل هذه النشاطات، فعلى سبيل

المثال لا الحصر، عندما زار السفير السوفيتي المحكمة الاتحادية العليا في 26 يناير 1956م، أوردت الصحيفة في 2 فبراير 1956م، مقالاً بعنوان: الصداقة التي يرحب بها الشعب الليبي، وضحت فيه "أن الشعور بالصداقة كما يبتغي العلم هو الإحساس بالميل وإدراك للإخلاص المتبادل بين طرفين أو أكثر"[36]، في إشارة إلى عمق الصداقة والود والعرفان بالجميل للشعب الأمريكي والبريطاني، لتقديمهم هدايا ما زالت ذكراها ترن في قلوب أبناء الشعب، وأن ليبيا ستحافظ على هذه الصداقة بالاحترام المتبادل، والداعمة للسلام العالمي[37].

وفي إطار المنافسة التي اتضحت بين نشاط السفارة السوفيتية في طرابلس والولايات المتحدة الأمريكية، فإن زيارة السفير السوفيتي لمدرسة الفنون والصنائع يوم 27 مارس 1956م[38]، قد أعقبها زيارة خمس وستين سيدة أمريكية من مطار الملاحة لمدرسة الفنون والصنائع، للاطلاع على نشاطات المدرسة، حسب ما ورد في الصحيفة[39].

اتضح- أيضاً - أنه قد شهدت التغطية الصحفية للأخبار المتعلقة بالاتحاد السوفيتي تطوراً مستمراً عكسه التقارب الليبي السوفيتي، وتوسع مجال العلاقات الثنائية بين البلدين، وهذ ما تبين من معرض الشباب والاحتفال الذي أقامته السفارة السوفيتية بالثورة الشيوعية[40].

ولم تكتف الصحيفة بمتابعة الأخبار الرسمية فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين، وإنما تجاوزه إلى إفراد بعض المقالات التي تتعلق بالاتحاد السوفيتي ونظامه الشيوعي، ومقال آخر يوضح مشاهدات وانطباعات تحكي الواقع في الاتحاد السوفيتي، في إشارة إلى نقد لهذا النظام تارة ومقال آخر، فقد أوردت الصحيفة مقالاً صحفياً مطولاً في 20 يوليو 1956م، لوليام رايان رئيس تحرير السياسة الخارجية في وكالة الصحافة المشتركة الأمريكية تتمحور بالأساس عن رسم صورة نمطية لدى القارئ الغربي بصعوبة الحياة وسوء مظاهرها داخل الاتحاد السوفيتي[41].

وفيما يمكن وصفه بالتطور الحاصل في النظرة الصحفية لصحيفة طرابلس الغرب للاتحاد السوفيتي، أوردت في عددها الصادر يوم 29 يوليو 1960م، مشاهدات وانطباعات رئيس غرفة تجارة طرابلس الغرب (سالم اندير) والوفد المرافق له، الذي أوضح بأن هدف الزيارة توطيد العلاقات التجارية والاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي، والتعرف على أوجه النشاط في مختلف ميادين الصناعة والزراعة والتجارة ومدى ما توصل إليه الاتحاد السوفيتي من تطور فيها، مشيراً إلى عقد مفاوضات مبدئية مع

شركة اكسبورت كليب للتصدير والاستيراد لشراء كميات من القمح[42]، ويعتبر هذا انفتاحاً مهماً في العلاقات التجارية بين ليبيا والاتحاد السوفيتي.

كما تبين أن الدبلوماسية الليبية في تعاملها مع سير العلاقات الثنائية للبلدين قد ارتسم من خلاله ما يشبه المنحنى في الرسم البياني، ما بين الصعود والهبوط بما يتماشى ومصالح الدولة الليبية، وثوابتها الوطنية والقومية، فعلى سبيل المثال أنه عندما رفضت ليبيا العرض المبكر للمساعدات السوفيتية، فإنها تمكنت من زيادة حجم المعونات المالية الأمريكية، فوصلت إلى 12 مليون دولار سنوياً[43]، وفي التعبير عن موقف الحكومة الليبية من حركات التحرر الأفريقية، صرح مصطفى بن حليم رئيس الوزراء ووزير الخارجية لصحيفة أمريكية أن الشعوب الأفريقية من حقها التحالف مع الشيوعية لنيل استقلالها، وعلى الدول الغربية أن تفهم ذلك[44].

الخاتمة :

اتضح مما سبق أن صدى العلاقات الليبية السوفيتية من خلال صحيفة طرابلس الغرب، قد أخذت جانباً شديد الحذر والالتزام بسياسات الحكومة الليبية في علاقاتها الخارجية وفق آلية سارت على نهج المحافظة على الثوابت الوطنية والقومية والمصالح القطرية للدولة الليبية.

كما يبدو أنه قد كان لمصر دور في إقامة علاقات ثنائية بين ليبيا والاتحاد السوفيتي، ويمكن القول أيضاً أن احترافية الدبلوماسية الليبية قد مكنتها من المحافظة على نسق الارتباط بالحلفاء الغربيين، والاستفادة من زيادة حجم مساعداتها لليبيا بخطين متوازيين في علاقات ليبيا الخارجية مع حلفائها الغربيين، والحصول على مد يد الدعم المالي والفني منها، وتمثل الخط الآخر في إقامة علاقات دبلوماسية مع الغريم الأيديولوجي للكتلة الغربية (الاتحاد السوفيتي) واستطاعت ليبيا أن تستفيد من هذه العلاقات الثنائية من مجرد تمثيل دبلوماسي إلى الحصول على مساعدات فنية من الاتحاد السوفيتي.

كما اتضحت كثير من المواقف فيما سبق ذكره، وهذا يؤشر إلى أن الدولة الليبية استطاعت الحفاظ على صون استقلالها، وامتلاكها للقرار السياسي الذي يعمل لصالح البلد، وهو مثال يحتذى به اليوم في أن القوة هي قوة إرادة وليست قوة مال أو سلاح فقط.

الهوامش :

(1) الموقع الالكتروني لشبكة RT الإخبارية، "ستالين بشأن ليبيا: من قرر هذا الأمر، تاريخ الإطلاع على الموقع 2025/07/17م".

(2) المرجع نفسه.

(3) عبدالعزيز علي الصويعي، بدايات الصحافة الليبية 1866–1922م، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1989م، ص61.

(4) صحيفة طرابلس الغرب، 7 يناير 1954م، س11، ع3193، ص4.

(5) أعداد الصحيفة الصادرة 7 و26 يوليو 1955م.

(6) توماس ويثني، "مشكلة الكرملين الكبرى"، صحيفة طرابلس الغرب، 25 أغسطس 1955م، ع3276، س19، ص1.

(7) صحيفة طرابلس الغرب، 1 سبتمبر 1955م، س15، ع3278، ص1–2.

(8) صحيفة طرابلس الغرب، 28–9–1955م، س15، ع3296، ص5.

(9) مؤمن علي طاهر، علاقات ليبيا الخارجية في العهد الملكي (1951–1969م)، دار جين للطباعة والنشر والتوزيع، البيضاء، 2005م، ص193–194.

(10) صحيفة طرابلس الغرب، 28 سبتمبر 1955م، س15، ع3296، ص1.

(11) مؤمن علي طاهر، المرجع السابق، ص195.

(12) صحيفة طرابلس الغرب، 8 يناير 1956م، س15، ع33411، ص1–2.

(13) صحيفة طرابلس الغرب، 11 يناير 1956م، س15، ع33414، ص1.

(14) صحيفة طرابلس الغرب، 15 يناير 1956م، س15، ع33417، ص1–2.

(15) صحيفة طرابلس الغرب، 16 يناير 1956م، س15، ع33417، ص1 وص6.

(16) المصدر والصفحات نفسها.

(17) محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، طوب للاستثمار والخدمات، الرباط، ص213.

(18) صحيفة طرابلس الغرب ، 27 يناير 1956 م ، س 15 ، ع 33427 ، ص 2 .

(19) صحيفة طرابلس الغرب ، 29 يناير 1956 م ، س 15 ، ع 33428 , ص 2 .

(20) صحيفة طرابلس الغرب، 15 فبراير 1956م، س15، ع33431، ص2.

(21) صحيفة طرابلس الغرب، 16 يناير 1956م، س15، ع33431، ص2.

(22) صحيفة طرابلس الغرب، 6 مارس 1956م، س15، ع33439، ص2.

(23) صحيفة طرابلس الغرب، 28 مارس 1956م، س15، ع33455، ص2.

(24) مصطفى بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، انترناشونال بوكس ، لندن، 1992م، ص20.

(25) صحيفة طرابلس الغرب، 22 فبراير 1956م، س15، ع33432

(26) صحيفة طرابلس الغرب، 30 مارس 1956م، س15، ع33457، ص1.

(27) صحيفة طرابلس الغرب ، 1 يناير 1958 م ، س 18 ، ع 99 ، ص 1 .

(28) محمد المبروك المهدوي ، جغرافية ليبيا البشرية ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، د . ت ، ص229 .

(29) أسمهان ميلود معاطي ، التأثيرات النفطية على البنية الاجتماعية في ليبيا (1955 – 1969) ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص 142 – 143 .

(30) صحيفة طرابلس الغرب، 1 يوليو 1956م، س18، ع140، ص1.

(31) صحيفة طرابلس الغرب، الاعداد من 20 فبراير 1962م، إلى 30 مارس 1962م.

(32) صحيفة طرابلس الغرب، 2 مارس 1956م، س19، ع21، ص2.

(33) صحيفة طرابلس الغرب، 14 أغسطس 1962م، س19، ع185، ص2.

(34) صحيفة طرابلس الغرب، 2 مارس 1962م، س19، ع21، ص1.

(35) صحيفة طرابلس الغرب، 23 فبراير 1956م، س15، ع33432، ص1.

(36) صحيفة طرابلس الغرب، 2 فبراير 1956م، س15، ع33432، ص1.

(37) المصدر نفسه، ص1، 2.

(38) صحيفة طرابلس الغرب، 28 مارس 1956م، س15، ع33455، ص2.

(39) صحيفة طرابلس الغرب، 29 مارس 1956م، س15، ع33456، ص2.

(40) صحيفة طرابلس الغرب ، 8 نوفمبر 1958 م ، س 17 ، ع 507 ، ص 2 .

(41) صحيفة طرابلس الغرب، 20 يوليو 1956م، س18، ع156، ص4، 5.

(42) صحيفة طرابلس الغرب ، 29 يوليو 1960 م ، س 18 ، ع 235 ، ص 3 .

(43) صحيفة طرابلس الغرب، 18 أبريل 1956 م ، س 15 ، ع 33461 ، ص 1 .

(44) صحيفة طرابلس الغرب ، 10 أبريل 1956 م ، س 15 ، ع 33449 ، ص 1 .